- التحرير -

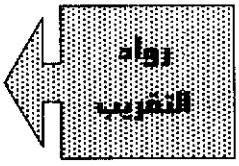

بديع الزمان سعيد النورسي
داعية الاتحاد الإسلامي

نبذة من حياة بديع الزمان سعيد النورسي

ولد الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في قرية (نورس) قرب بحيرة (وان) الواقعة شرقي تركيا. درس العلوم الاسلامية كلها واتمها، وتغلب في جميع المناظرات والمناقشات التي دخلها مع العلماء. ثم اتجه الى دراسة مختلف العلوم والفنون الحديثة، حتى لقب بـ «بديع الزمان» اذ كان آية في الذكاء والحفظ.. طلب من السلطان عبد الحميد الثاني وخلفه السلطان رشاد انشاء جامعة اسلامية في شرقي الاناضول على غرار جامعة الازهر تدعى «مدرسة الزهراء» تجمع بين دراسة العلوم الاسلامية والعلوم الحديثة، الا أن نشوب الحرب العالمية الاولى حال دون تحقيق رغبته. وفي اثناء الحرب قاد فرق «الانصار» المتطوعين ضد الروس، وعلى الرغم من ذلك لم ينس واجبه الاساس وهو «خدمة القرآن الكريم» اذ ألف تفسيره المسمى «إشارات الاعجاز في مظان الايجاز» باللغة العربية في ساحات الجهاد.

وفي احدى المعارك جرح جرحاً بليغاً فوقع اسيراً بيد الروس وسيق الى معتقلات الاسر في سيبيريا، وظل فيها سنتين وأربعة أشهر، وحكم عليه بالاعدام لموقفه

الجريء من القائد العام الروسي، الا ان العناية الالهية ادركته في اللحظات الأخيرة، وتخلص من الاعدام. ثم ادركته هذه العناية ثانية. فتمكن من الفرار الى المانيا فالنمسا فاسطنبول، وهنالك عين عضوا في «دار الحكمة الاسلامية» وبدأ في التأليف ونشر نحوا من أحد عشر مؤلفا باللغة العربية تدور جميعها حول الاركان الايمانية.

وعندما دخل الانكليز «استطنبول» في مارس سنة ١٩٢٠م بعد ان خسرت الدولة العثمانية الحرب، قام النورسي ضدهم وألب الناس عليهم وألف كتابه «الخطوات الست» في رد مكائدهم، واشترك بقلمه ولسانه في «حرب الاستقلال» لمقاومة المحتلين. وبعدها تغلب الشعب التركي عليهم ونال حريته وتأسس أول برلمان نيابي، ألقى فيه بياناً رائعاً حثهم فيه على التمسك بمباديء الاسلام. ولكن ما ان رأى أن الآخذين بزمام الامور اتجهوا الى الغرب اتجاهاً كاملاً واستبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية، واحدثوا بدعة أذان بالتركية وغيرها من الامور المنافية للاسلام حتى استقر رأيه مجافاة السياسة كلياً والانصراف الى التأليف للحفاظ على عقائد الامة ومثلها وقيمها.. فأخذ يؤلف منذ سنة ١٩٢٦م مستمداً من فيض القرآن الكريم رسائل تنوف على المئة والثلاثين رسالة سماها «رسائل النور» طوال سنوات عمره التي قضاها بين النفي والتشريد والسجن والتي تزيد على ربع قرن.

وهذه الرسائل تقع في آلاف الصفحات مقسمة على أربعة اقسام رئيسة هي: الكلمات، والمكتوبات، واللمعات، والشعاعات، فضلا عن الرسائل الملحقة بها، وهكذا ظل الاستاذ النورسي دؤوباً في خدمة القرآن الكريم والايمان بالتأليف والتوجيه الى أن وافته المنية في ٢٦ رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ مارس ١٩٦٠م. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن دينه خير الجزاء.

ان الوحدة الاسلامية قضية جليلة تهم جميع المسلمين، كل حسب درجته، إذ

هي ليست مسألة سياسية وحدها، بل هي ايضا تمسّ الاخوة الايمانية التي تربط المسلمين جميعاً بدءاً من الرابطة والتعاون والتآزر بين مؤمن وآخر وانتهاءً بالعالم الاسلامي كله.

فضلاً عن هذا فان القوة العظيمة الحاصلة من هذه الوحدة والناشئة من الرباط والوثيق بين المؤمنين تصون الامة الاسلامية جمعاء من المخاطر والمهالك التي تردها من الخارج. بيد ان الذين عجزوا عن مقاومة القوة المادية والمعنوية النابعة من الوحدة سعوا بشتى الطرق والوسائل والمؤامرات والخطط لتفتيتها وبعثرتها.

لذا ينبغي الا ندخر جهداً، بل نبذل كل مافي وسعنا لما يأمرنا به ديننا العظيم من التساند والترابط والوقوف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص امام مفاسد اولئك الاعداء المخربين.

وصدق الله العظيم الذي يقول: (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(الانفال: ٧٣).

هذا ولقد وضح الاسلام من القواعد والدساتير القيمة ما يوجب التعاون والتآزر، نذكر منها للمناسبة، فريضة الحج.

من حكم الحج

وننقل اليكم ما اورده الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ضمن حوار جرى له في رؤيا صادقة رآها اثناء سقوط الدولة العثمانية. اي عقب الحرب العالمية الاولى، يقول:

«ان اهمال الحكمة العظيمة الكامنة في فريضة الحج لا تجلب المصيبة العظمى وحدها، بل ينزل الغضب الالهي والقهر الرباني ايضاً. ولم يكن جزاء ذلك الاهمال ونزول تلك المصيبة تكفيراً للذنوب بل كان تكثيراً لها.

نعم، ان اهمال حكمة الحج ولاسيما التعارف بين المسلمين وتوحيد افكارهم واهمال ما يتضمنه الحج من سياسة اسلامية رفيعة ومصلحة اجتماعية واسعة تشمل التعاون والمشاركة في الاعمال والسعي الجاد.. اقول ان هذا الاهمال ادى الى ان يهيئ العدو وسطا ملائماً لضرب المسلمين بعضهم ببعض.

فها هي الهند، قد قتل اباه ظناً منه انه العدو.. وهو واقف على رأس المقتول يصرخ ويولول..

وهذا التتار والقفقاس قد عاونوا على قتل والدتهم المسكينة. وادركوا ذلك بعد «ان قضى الامر» .. فهم يبكون وقوفاً على قدم الجنازة.

وهؤلاء العرب، قتلوا خطأ اخاهم البطل، ولا يدرون ما يفعلون..

وهذه افريقا.. قد قتلت شقيقتها دون علم منها، وهي الآن تدعو بالويل والثبور.

وهذا العالم الاسلامي قد عاون غافلاً دون علم منه على قتل إبنه الذي رفع راية الاسلام، فها هو الآن يصرخ ويستغيث كالام الرؤوم الفاقدة لوحيدها.

نعم ان ملايين المسلمين بدلاً من ان يشدّوا الرحال الى الحج هو الخير المحض، انساقوا في سياحة طويلة وسفر بعيد بمعنى ان حكمة عظيمة لفريضة الحج هي «الشورى» الجارية في نطاق واسع بين المسلمين عامة ولمرة واحدة في السنة حفاظاً على سلامة العالم الاسلامي واستقلاليته.

مسؤولية العرب والاتراك

ان الذي تعهّد للقيام بهذه الوظيفة هم العثمانيون والعرب كما يعبر عن ذلك الاستاذ النورسي؛ اذ يقول: «إن حجر الاساس في بناء امتنا وقوام روحها هو الاسلام، وان الخلافة العثمانية والجيش التركي من حيث كونهما حاملين لراية تلك الامة الاسلامية، فهما بمثابة الصدفة والقلعة للأمة، وان العرب والترك هما الاخوان

الحقيقيان وسيظلان حارسين امينين لتلك القلعة المنيعة، والصدفة المتينة.

وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الامة الاسلامية بعضها ببعض يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الاسلام برباط الاخوة الاسلامية، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة. ويمد بعضهم بعضا معنوياً، واذا اقتضى الامر فمادياً، وكأن الطوائف الاسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية».

نعم «ان قارة شاسعة عظيمة الجانب رديئة الطالع.. ودولة مشهورة عريقة المجد سيئة الحظ.. وامة عزيزة جليلة القدر بلا رائد، وصفتها الطبية: الاتحاد الاسلامي».

وفي مقالة نشرها بديع الزمان في سنة ١٩٠٩ يقول:

«ان اوجب الفرائض في هذا الوقت هو الوحدة الاسلامية، وهدف هذه الوحدة وقصدها تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الاسلامية المنتشرة والمتشبعة، وايقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم الى طريق الرقي بأمر وجداني».

ويوضح بديع الزمان سعيد النورسي في خطبته التي القاها في المسجد الاموي سنة ١٩١١م ما يأتي فيقول:

«يا اخواني المستمعين الى اقوالي في هذا الجامع الاموي.

ويا ايها الاخوان المسلمون في جامع العالم الاسلامي بعد اربعين او خمسين عاماً! لا يتعذرن احدكم بالقول: «اننا لا نضر احدا ولكننا لا نستطيع ان ننفع احدا ايضاً. فنحن معذورون اذا . «فعذركم هذا مرفوض، اذ ان تكاسلكم وعدم مبالاتكم وتقاعسكم عن العمل لتحقيق الاتحاد الاسلامي والوحدة للأمة الاسلامية، انما هو ضرر بالغ وظلم فاضح».

«إن مصالح الطوائف الصغيرة وسعادتها الدنيوية والاخروية ترتبط بامثالكم من

الطوائف الكبيرة العظيمة، والحكام والأساتذة من العرب والترك. فان تكاسلكم وتخاذلكم يضران باخوانكم من الطوائف الصغيرة من امثالنا ايما ضرر. وانني اوجه كلامي هذا بوجه خاص اليكم يا معشر العرب العظماء الأماجد، ويا من أخذتم من التيقظ حظاً او ستتيقظون تيقظاً تاماً في المستقبل، لانكم اساتذتنا واساتذة جميع الطوائف الاسلامية وائمتها، فانتم مجاهدو الاسلام الأوائل، ثم جاءت الامة التركية العظيمة لتمد وظيفتكم المقدسة تلك ايما امداد.

لاسيما نحن على امل عظيم برحمة الله انه بعد مرور اربعين او خمسين عاماً تتحدون فيما بينكم – كما اتحدت الجماهير الامريكية – وتتبوأون مكانتكم السامية وتوفّقون باذن الله الى انقاذ السيادة الاسلامية المأسورة وتقيمونها كالسابق في نصف الكرة الارضية بل في معظمها. فان لم تقم القيامة فجأة فسيرى الجيل المقبل هذا الامل».

السبيل الى الامن والسلام

هذا وقد ارسل بديع الزمان رسالة الى المسؤولين تنبيهاً لهم ان الوحدة الاسلامية هي العلاج الوحيد تجاه الارهاب والفوضى، وذلك في عهد حكومة الحزب الديمقراطي.

فيقول:

«انه لا يصمد امام هذا الدمار الرهيب الا وحدة المسلمين المنبثقة من حقائق القرآن. فمثلما تكون هذه الوحدة وسيلة لانقاذ البشرية من بلاء الفوضى والارهاب فانها تنقذ هذه البلاد ايضا من سيطرة الاجانب وتنجي الامة من مغبة الارهاب، بل لا منقذ لها الا هذه الوحدة».

وقد اوضح بديع الزمان اهمية الوحدة الاسلامية ايضا في رسالته التي بعثها الى

طلابه مابعد سنة ١٩٥٠ بمناسبة حلول العيد. فقال:

«أخوتي الاعزاء الصادقين!

نهنئكم من صميم ارواحنا واعماق قلوبنا بحلول العيد السعيد، ستدركون باذن الله يوماً عيدا يعم العالم الاسلامي كله. ان هناك امارات كثيرة تبين ان القرآن الحكيم الذي هو منبع جميع القوانين السامية للجماهير المتحدة الاسلامية، سيكون مهيمناً في المستقبل. وسيأتي ذلك اليوم قاطبة».

«اننا نهنئ العالم الاسلامي باتخاذ دولها الاسلامية حديثاً القرآن الحكيم دستورا لها، وقد بدأت تباشير الوحدة الاسلامية بظهور دول من آسيا وافريقيا تجعل اربعمائة مليون من المسلمين في اخوة متعاونة ماديا ومعنويا».

«نعم ان المعاملة الوحشية القاسية التي يزاولها اولئك الاجانب والمظالم التي يرتكبونها، قد مهدت العالم الاسلامي لينال حريته واستقلاله بلوغا الى الوحدة الاسلامية. حتى انها ولدت دولا مستقلة. اننا نسأل الله تعالى ان تتشكل الجماهير المتحدة الاسلامية ويصبح الاسلام مهيمنا على الارض كلها فنحن نلوذ برحمته تعالى ليتحقق هذا الامل».

وفي رسالة لبديع الزمان سعيد النورسي بعثها الى احد المسؤولين في الدولة، ايام كان حزب الشعب الجمهوري هو الحاكم وذلك في سنة ١٩٤٥، ارسل تلك الرسالة لينبه الى الخطر المحدق بالامة التركية وبالامة الاسلامية عامة، في عدم الحث على الحقائق القرآنية بل العكس ترويجهم لمبادي المدنية الاوروبية، مما سيؤدي الى ان يدير العالم الاسلامي ظهره الى الامة التركية وينفر منها، فعليهم ان يحثوا الخطى في تطبيق حقائق القرآن، وإلا سيلحق بالاخوة الاسلامية ضرر بالغ، فيقول:

«ان الامة التركية ومن معها من اخوة الدين قد حملوا راية الاسلام منذ ألف سنة حتى جعلت الامة الاسلامية قاطبة ممتنة لها، وصانت الوحدة الاسلامية،

ونجت البشرية بالقرآن العظيم وحقائق الايمان من الكفر المطلق والضلال الرهيب.

فإن لم تتبثوا هذه الحقائق القرآنية وظللتم كعهدكم السابق متنكبين الصواب، بالدعاية للحضارة الغربية، والعمل على اضعاف الروح الدينية، وان لم تقوموا بالحث على الحقائق القرآنية والايمانية مباشرة بدل قيامكم بالدعاية للمدنية الغربية فاني احذركم وانذكرم قطعا، وابين ذلك بحجج قاطعة:

ان العالم الاسلامي سينفر من هذه الامة بدلاً من ان يوليها المحبة بل سيضمر العداوة لأخيه البطل، الامة التركية، وستقهرون امام الفوضى والارهاب الذي يتستر تحت الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الاسلامي، وستكون سببا في تشتيت هذه الامة التركية التي هي قلعة العالم الاسلامي وجيشه البطل، وستمهدون لاستيلاء الغول الوحش، الشيوعية، على هذه البلاد.

نعم ان هذه الامة البطلة لاتصمد امام صدمات التيارين الرهيبين الآتيين من الخارج الا بقوة القرآن.

فلا مناص لهذه الامة لصد الكفر المطلق والاستبداد المطلق واشاعة السفاهة واباحة اموال الناس، هذا التيار الجارف، الا الامة التي امتزجت روحها بحقائق الاسلام واصبحت جزءا من كيانها، تلك الامة التي تعتز بالاسلام مجدا لماضيها.

وسيوقف هذا التيار باذن الله إنتهاض اهل الغيرة والحمية لهذه الامة ببث روح الحقائق القرآنية الموغلة في عروق هذه الامة وجعلها دستور حياتها بدلاً من نشر التربية المدنية الغربية.

اما التيار الثاني: فهو استمالة العدو ومستعمراته في العالم الاسلامي وربطها به برباط وثيق، وذلك بزعزعة ثقتهم بمكانة هذه البلاد ومنزلتها المركزية للعالم الاسلامي، بعد وصمها باللادينية والالحاد، والذي يفضي الى انفصام العلاقة المعنوية بينها وبين العالم الاسلامي، وقلب روح الاخوة التي يحملها العالم الاسلامي تجاه هذه

الامة الى عداء... وغيرها من امثال هذه الخطط الرهيبة التي حازوا بها شيئاً من النجاح لحد الان.

ولكن لو استرشد هذا التيار وبدل خطته الرهيبة هذه وعامل الدين بالحسنى داخل البلاد، هذا المركز، مثلما يلاطف الدين في العالم الاسلامي، فانه يغنم كثيرا ممن حافظ على انجازاته، وعندئذ تنجو الامة والبلاد من كارثة مدمرة.

فلو سعيتم انتم الذين تتولون مقام سكرتارية اهل الحمية والقومية للحفاظ على الاسس والمباديء التي تسحق المقدسات الدينية وتعمم المدنية الغربية، واحلتم الحسنات الحاضرة وحسنات الانقلاب الى اجراءات قلة من الاشخاص الذين قاموا باسم الانقلاب، واحتلم النقائص المريعة والسيئات الجسمية الى الامة، فعندئذ تعممون اذن ما ارتكبه اشخاص قلة من سيئات الى ملايين السيئات. فتخافون اذن آمال هذه الامة المتدينة البطلة، وتجافون جيش الاسلام، وتعارضون اذن الامة جميعاً وتديرون ظهركم الى ملايين الابطال اليامين الذين نالوا شرف الشهادة، فتعذبون ارواحهم الطيبة وتحطون من شأنهم وتهونون من شرفهم.

وكذا لو احيلت تلك الحسنات التي احرزت بهمة الامة وقوة الجيش الى اولئك القلة القليلة من الانقلابيين، فان ملايين الحسنات اذن تنحصر في بضع حسنات فقط، وتتضاءل وتضمحل ، فلا تكون كفارة لأخطاء فاحشة.

... ثم ان المسلم يختلف عن الآخرين، اذ لو تخلى عن دينه فلا يكون الا ارهابياً، ولا يقيده قيد ايا كان، بل لايمكن ادارته الا بالاستبداد المطلق والرشوة العامة المطلقة».

من مهام رسائل النور

«فنحن نسعى برسائل النور لدفع اعظم خطرين يحدقان بمستقبل هذه البلاد

وقد قامت بها فعلاً بل اثبتنا ذلك في المحكمة وذلك: بوضع سد امام الارهاب المغير علينا من الخارج، دفعاً للخطر الاول.

وتحقيق اعظم نقطة استنادا لهذه البلاد بتحويل نفور خمس وثلاثين مليوناً من المسلمين الى رابطة اخوة صادقة، دفعاً للخطر الثاني».

«ان الاصابع التي تحارب رسائل النور من خلف الاستار هي الاصابع الاجنبية التي تحاول تحطيم وكسر الود والمحبة والاخوة التي يكنها العالم الاسلامي الى هذه الامة في هذا الوطن. هذه المحبة والاخوة التي تعد ابكر قوة لهذه الامة، لذا فلكي يتم تحطيم هذه المحبة وهذه الاخوة وتبديلها وتغييرها الى بغض ونفور فان هناك اصابع تحاول استغلال السياسة وجعلها آلة ووسيلة لتشجيع الالحاد والكفر المطلق. وهي بذلك انما تقوم بعملية خداع للحكومة وقامت مرتين بعملية تضليل للعدالة عندما تقول لها: «ان طلاب رسائل النور يقومون باستغلال الدين من اجل السياسة وان هناك احتمالاً ان يتضرر من ذلك أمن البلد».

«ايها البؤساء!... ان رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق (الذي اسفله الفوضى واعلاه الاستبداد المطلق) وتفتيته ورده على اعقابه».

نبذ الخلافات الداخلية

ثم ان بديع الزمان سعيد النورسي يأسف أشد الاسف على بقاء الاختلاف في بعض اجزاء العالم الاسلامي رغم الدوافع التي تدفع المسلمين الى الوحدة ضمن شروط العالم الحاضرة . فيقول:

«مرض اجتماعي خطر وحالة اجتماعية مؤسفة اصابت الامة الاسلامية يدمى لها القلب:

ان اشد القبائل تأخرا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون

الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند اغارة العدو الخارجي عليهم.

واذ تقدر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الاسلام ويدعون اليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمدون بها سبل اغارة الاعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟! فلقد تراصف الاعداء حولهم واطبقوا عليهم من كل مكان.. ان هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة بحق الاسلام والمسلمين.

نحو العالم الاسلامي بدلاً عن الغرب

ويوصي بديع الزمان في رسالة موجهة الى رجال الدولة. بما ينبغي عليهم من التوجه الى الوحدة الاسلامية بدلاً من التوجه الى الغرب، فيقول:

«مادامت تعطى رشاوى من التنازلات المعنوية لاجل اقرار السياسة الاجنبية مقابل مايقدمونه من مساعدات تافهة مؤقتة، بسبب مانعانيه من الضعف الناشيء من الاختلاف، حتى غدت تهيمن اللامبالاة باخوة اربعمائة مليون من المسلمين وعدم الاكتراث بمسلك مليار من الاسلاف العظام، بل رأوا انفسهم مضطرين لدفع مبالغ ضخمة كمرتبات للموظفين لاجل عدم الاضرار بادارة الدولة ونظام البلاد من دون مراعاة لما يعانيه الناس من فقر مدقع.

ان مايعطيه ارباب السياسة الحاليون في هذه البلاد من رشاوى الى الغرب والى الاجانب ومن تنازلات سياسية ومعنوية، عليهم ان يعطوا عشرة امثالها بل ينبغي لهم ان يدفعوها لاجل اقرار اخوة اربعمائة مليون من المسلمين والتي ستتشكل بما يشبه بجماهير متحدة اسلامية. وذلك لاجل سلامة هذه البلاد والحفاظ على كيان هذه الامة، وسوف يكون ذلك هدية ضرورية وأتاوة لا ضرر فيها.

فتلك الرشوة الواجبة، الجائزة النافعة جدا بل الضرورية المقبولة هي اتخاذ

الدساتير المقدسة منهجاً للعمل، تلك الدساتير التي هي اساس التعاون الاسلامي وهي هدايا سماوية من القرآن الكريم توثق الرابطة بين المسلمين بل هي قانونهم المقدس الاساس وهي:

(إنما المؤمنون اخوة).

(ولا تزر وازرة وزر اخرى).

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

القومية الايجابية والسلبية

ولاجل تحقق الوحدة الاسلامية فهناك شروط منها:

الشرط الاول : اتخاذ القومية الاسلامية ونبذ العنصرية المولدة للفرقة والاختلاف. ومما يؤيد هذه النظرة للاستاذ بديع الزمان في هذا الصدد، ندرجها ادناه:

«قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) (الحجرات: ١٣).

اي: خلقناكم طوائف وقبائل واما وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا.

نقول بياناً لدستور التعارف والتعاون الذي تشير اليه هذه الآية الكريمة انه:

يقسم الجيش الى فيالق والى فرق والى ألوية والى أفواج والى سرايا والى فصائل وحظائر، وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدي افراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفة حقيقة عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الاعداء. والا فليس هذا التقسيم والتمييز الى تلك

الاصناف، لجعل المنافسة بين فوجين او اثارة الخصام بين سريتين او وضع التضاد بين فرقتين.

وكذلك الامر في المجتمع الاسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قسم الى قبائل وطوائف، مع ان لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، اذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحد، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد.. وهكذا واحد، واحد.. الى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الاخوة والمحبة والوحدة. بمعنى ان الانقسام الى طوائف وقبائل – كما تعلنه الآية الكريمة – ماهو الا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم.

لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر. ويثير ظالمو اوروبا الماكرون بخاصة هذا الفكر بشكله السلبي في اوساط المسلمين ليمزقوهم ويسهل لهم ابتلاعهم. ولما كان في الفكر القومي ذوق للنفس، ولذة تغفل، وقوة مسؤومة، فلا يقال للمشتغلين بالحياة الاجتماعية في هذا الوقت: دعوا القومية! ولكن القومية نفسها على قسمين:

قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر. وهذا يولد المخاصمة والنزاع. ولهذا ورد في الحديث الشريف (ان الاسلام يجُبُّ ماقبله) ويرفض العصبية الجاهلية. وامر القرآن الكريم بـ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) (الفتح: ٢٦). فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف يرفضان رفضاً قاطعا القومية السلبية وفكر العنصرية. لان الغيرة الاسلامية الايجابية المقدسة لاتدع حاجة اليها.

ترى أي عنصر في العالم تعداده ثلاثمائة وخمسون مليونا ويكسب فكر المرء –

بدل الاسلام – هذا العدد من الاخوان، بل اخوانا خالدين؟

ولقد ظهرت طوال التاريخ أضرار كثيرة نجمت عن القومية السلبية.

اضرار العنصرية:

منها: ان الامويين خلطوا شيئاً من القومية في سياساتهم، فأسخطوا العالم الاسلامي فضلاً عما ابتلوا ببلايا كثيرة من جراء الفتن الداخلية.

وكذلك شعوب اوروبا، لما دعوا الى العنصرية واوغلوا فيها في هذا العصر نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والالمان كما أظهر الدمار الرهيب الذي احدثته الحرب العالمية، مبلغ الضرر الذي يلحقه هذا الفكر السلبي للبشرية.

وكذلك الحال فينا، ففي بداية عهد الحرية (اي اعلان الدستور) تشكلت جميعات مختلفة للاجنين وفي المقدمة الروم والارمن، تحت اسماء أندية كثيرة، وسببت تفرقة القلوب – كما تشتت الاقوام بانهدام برج بابل، وتفرقوا ايدي سبأ في التاريخ – حتى كان منهم من اصبح لقمة سائغة للاجانب، ومنهم من تردى وضل ضلالا بعيدا. كل ذلك يبين نتائج القومية السلبية واضرارها.

اما الآن فان التباغض والتنافر بين عناصر الاسلام وقبائله – بسبب من الفكر القومي – هلاك عظيم، وخطب جسيم، اذ ان تلك العناصر أحوج مايكون بعضهم لبعض، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف، ولشدة الفقر الذي نزل بهم ولسيطرة الاجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقاً، لذا فان نظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل انه جنون اشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة التي تحوم حوله.

نعم، ان أطماع اوروبا التي لا تفتر ولا تشبع هي كالثعابين الضخمة الفاتحة

افواهها للابتلاع. لذا فان عدم الاهتمام بهؤلاء الاوروبيين، بل معاونتهم بالفكر العنصري السلبي، وانماء روح العداء ازاء المواطنين القانطين في الولايات الشرقية واخواننا في الدين في الجنوب، هلاك واي هلاك وضرر وبيل.

اذ ليس بين افراد الجنوب من يستحق ان يعادي حقا، بل ما أتى من الجنوب الا نور القرآن وضياء الاسلام، الذي شع نوره فينا وفي كل مكان.

فالعداء لاولئك الاخوان في الدين، وبدوره العداء للاسلام، انما يمس القرآن، وهو عداء لجميع اولئك المواطنين ولحياتهم ، الدنيوية والاخروية.

لذا فادعاء الغيرة القومية بنية خدمة المجتمع يهدم حجر الزاوية للحياتين معا فهي حماقة كبرى وليست حمية وغيرة قطعا».

«نبين فائدتين — على سبيل المثال — من مئات الفوائد التي تكسبها الحمية الاسلامية المقدسة للحياة الاجتماعية لابناء هذا الوطن.

الفائدة الاولى:

ان الذي حافظ على حياة الدولة الاسلامية وكيانها — رغم ان تعدادها عشرون او ثلاثون مليوناً — تجاه جميع دول اوروبا العظيمة، هو هذا المفهوم النابع من القرآن الذي يحمله جيشها: «اذا مت فانا شهيد وان قتلت فانا مجاهد». هذا المفهوم دفع ابناء هذا الوطن الى استقبال الموت باسمين مما هز قلوب الاوروبيين وارهبهم.

ترى اي شيء يمكن ان يبرز غي الميدان ويبعث في روح الجنود مثل هذه التضحية والفداء وهم ذوو أفكار بسيطة وقلوب صافية؟

اية عنصرية يمكن ان تحمل هذا المفهوم العلوي؟ واي فكر غيره يمكن ان يجعل المؤمن يضحي بحياته وبدنياه كلها طوعاً في سبيله؟

الفائدة الثانية: ما آذت الدول الاوربية الكبرى وثعابينها المردة، هذه الدولة الاسلامية وتوالت عليها بضرباتها، الا واكبت ثلاثمائة وخمسين مليوناً من

المسلمين في انحاء العالم، وجعلتهم يئنون لأذاها، حتى سحبت تلك الدول الاستعمارية يدها عن الاذى والتعدي لتحول دون اثارة عواطف المسلمين عامة، فتخلت عن الاذى.

فهل تستصغر هذه القوة الظهيرة المعنوية والدائمة لهذه الدولة، وهل يمكن انكارها.

ترى اية قوة اخرى يمكن ان تحل محلها؟ فهذا ميدان التحدي ليظهروا تلك القوة؟ لذا ينبغي الا نعمل بقومية سلبية وحمية مستغنية عن الدين.

«اننا لا نيأس من روح الله قطعا، فلقد سخر ابناء هذا الوطن وجماعاته المعظمة وجيشه المهيب منذ الف سنة في خدمة القرآن وجعلهم رافعي رايته. لذا فأملنا عظيم في رحمته تعالى الا يهلكهم بعوارض مؤقتة ان شاء الله، وسيمد سبحانه ذلك النور ويجعله اسطع وابهر اشراقاً فيديم وظيفتهم المقدسة».

اهمية الشورى

الشرط الثاني: لتحقيق الوحدة الاسلامية هو «الشورى» اذ الشورى المبنية على اجتماع العلماء الصادقين والمرشدين الكاملين في العالم الاسلامي والمرتكزة على اساس سليمة هي في الحقيقة مرجع شرعي لجميع المسلمين ونوع من اجماع الامة الاسلامية.

فالدولة الاسلامية ترتبط بالقوانين المقدسة القرآنية وتتشكل كولايات متحدة اسلامية كما يعبر عنها بديع الزمان سعيد النورسي.

ولقد بين بديع الزمان اهمية الشورى وضرورتها الى رجال الدولة، ووضح لهم ماينبغي ان تكون عليه الشورى للمشيخة الاسلامية للدولة العثمانية، فقال:

«لقد طالبت بهذه الفكرة اعضاء (تركيا الفتاة) ابان اعلان الدستور، فلم

يوافقوا عليها، وبعد مضي اثنتا عشرة سنة طالبتهم بها ايضا فقبلوها ولكن المجلس النيابي قد حل.،

والان اعرضها مرة اخرى على نقطة تمركز العالم الاسلامي.

قال تعالى (وأمرهم شورى بينهم) (الشورى : ٣٨).

(وشاورهم في الأمر) (آل عمران: ١٥٩)

يرينا التاريخ انه: متى ما كان المسلمون متمسكين بدينهم فقد ترقوا بقدر تمسكهم بدينهم، بينما تدنوا كلما بدأ ضعف الدين يدب فيهم. بخلاف ما يحدث لاصحاب الاديان الاخرى، اذ متى ماتمسكوا بدينهم فقد اصبحوا كالوحوش الكاسرة ومتى ماضعف لديهم الدين ترقوا في مضمار الحضارة.

ان ظهور جمهور الانبياء في الشرق رمز من القدر الإلهي: ان المهيمن على شعور الشرقيين هو الدين، فما نراه في الوقت الحاضر من مظاهر اليقظة في انحاء العالم الاسلامي تثبت لنا: ان الذي ينبه العالم الاسلامي وينقذه من الذل والهوان هو الشعور الديني ليس الا.

وقد ثبت ايضا ان الذي حافظ على هذه الدولة المسلمة (العثمانية) هو ذلك الشعور رغم جميع الثورات والمصادمات الدامية التي نشبت في ارجائها.. فنحن نتميز بهذه الخاصية عن الغرب، ولا نقاس معهم.

ان السلطة والخلافة متحدتان بالذات ومتلازمتان لاتنفكان وان كانت وجهة كل منهما مغايرة للاخرى.. وبناء على هذا فلسطاننا هو سلطان وهو خليفة في الوقت نفسه، يمثل رمز العالم الاسلامي. فمن حيث السلطنة يشرف على ثلاثين مليوناً، ومن حيث الخلافة ينبغي ان يكون ركيزة ثلاثمئة مليون من المسلمين الذين تربطهم رابطة نورانية، وان يكون موضع امدادهم وعونهم.

فالوزارة تمثل السلطنة، اما المشيخة (الاسلامية) فهي تمثل الخلافة . فبينا نرى

الوزارة تستند اصلا على ثلاثة مجالس شورى – وقد لا توفي هذه المجالس حاجاتها الكثيرة – نجد ان المشيخة قد اودعت الى اجتهاد شخص واحد، في وقت تعقدت العلاقات وتشابكت حتى في ادق الامور، فضلا عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهادية، وعلاوة على تشتت الافكار وتدني الاخلاق المريع الناشيء من تسرّب المدنية الزائفة فينا.

من المعلوم: ان مقاومة الفرد تكون ضعيفة امام المؤثرات الخارجية، فلقد ضحي بكثير من احكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية.

ثم كيف يكون الامر يا ترى: انه بينما كانت الامور بسيطة والتسليم للعلماء وتقليدهم جار كانت المشيخة مودعة الى مجلس شورى – ولو بصورة غير منتظمة – ويتركب من شخصيات مرموقة، والان وقد تعقدت الامور ولم تعد بسيطة وارتخى عنان تقليد العلماء واتباعهم. اقول كيف يا ترى يكون بمقدور شخص واحد القيام بكل الاعباء؟

ولقد اظهر الزمان ان هذه المشيخة الاسلامية – التي تمثل الخلافة – ليست خاصة لاهل استانبول او للدولة العثمانية، وانما هي مؤسسة جليلة تعود للمسلمين عامة. فوضعها الحالي المنطفئ لا يؤهلها للقيام باعباء ارشاد استانبول وحدها ناهيك عن ارشاد العالم الاسلامي!

لذا ينبغي ان تؤول هذه المشيخة الى درجة ومنزلة تتمكن بها كسب ثقة العالم الاسلامي فتكون كالمرآة العاكسة لشاكل المسلمين. وتغدو منبعاً ثرا للاجتهادات والافكار. وعندها تكون قد ادت مهمتها حق الاداء تجاه العالم الاسلامي.

نحن لسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصا واحدا، ومفتيه ربما شخص واحد ايضا، يصحح رأيه ويصوبه. فالزمان الآن زمان الجماعة والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة. فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية،

فالذي يفتي لمثل هذا الحاكم ينبغي ان يكون متجانساً معه، اي ينبغي ان يكون شخصاً معنويا نابعا من مجلس شورى عال، كي يتمكن من ان يسمع صوته للآخرين، ويسوق ذلك الحاكم الى الصراط السوي في امور الدين.

والا فسيبقى صوته كطنين الذباب امام الشخص المعنوي الناشيء من الجماعة، حتى لو كان فردا فذا عظيما. فهذا الموقع الحساس يعرض قوة المسلمين الحيوية الى الخطر مادام باقياً على وضعه المنكفئ هذا، حتى يصح لنا ان نقول:

ان الضعف الذي نراه في الدين، والاهمال الذي نشاهده في الشعائر الاسلامية، والفوضى التي ضربت اطنابها في الاجتهادات قد تفشت نتيجة ضعف المشيخة وانطفاء نورها، حيث ان الشخص الموجود خارج المشيخة يمكنه ان يحتفظ برأيه ازاء المشيخة المستندة الى شخص واحد. بينما كلام شيخ الاسلام المستند الى مجلس شورى المسلمين يجعل اكبر داهية يتخلى عن رأيه او يحصر اجتهاده في نفسه في الاقل.

نعم، ان كل من يجد في نفسه كفاءة واستعدادا للاجتهاد يمكنه ان يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل الا عندما يقترن بتصديق نوع من اجماع الجمهور. فمثل هذا الشيخ – اي شيخ الاسلام المستند الى مجلس شورى – يكون قد قال هذا السر. فكما نرى في كتب الشريعة ان مدار الفتوى: الاجماع، ورأي الجمهور، يلزم الآن ذلك ايضا فيصلا قاطعاً لدابر الفوضى الناشبة في الآراء.

ان الوزارة والمشيخة جناحا هذه الدولة المسلمة، فان لم يكونا جناحين متساويين متكافئين فلا يدوم لها المضي، وان مضت المشيخة على وضعها الحاضر فسوف تنسلخ عن كثير من المقدسات الدينية امام اجتياح المدنية الفاسدة.

الحاجة استاذ لكل امر. هذه قاعدة، فالحاجة شديدة لمثل هذا المجلس الشوروي الشرعي، فان لم يؤسس في مركز الخلافة فسيؤنس بالضرورة في مكان آخر.

وعلى الرغم من ان القيام ببعض المقدسات يناسب ان يسبق تأسيس هذا المجلس – كمؤسسة الجماعات الاسلامية والحاق الاوقاف بالمشيخة وامثالها من الامور – فان الشروع بتأسيس المجلس مباشرة ثم تهيئة المقدمات له يحقق الغرض ايضاً. فالدوائر الانتخابية – للاعيان والنواب – رغم محدوديتها واختلاط وظائفها قد يكون لها تأثير بالواسطة، رغم ان الوضع يستوجب تأسيس مجلس شورى اسلامي خالص كي يتمكن كفالة المهمة السامية. ان استخدام اي شيء في غير موضعه يكون مآله التعطل، ولا يبين اثره المرجو منه. فدار الحكمة الاسلامية التي انشئت لغاية عظيمة، اذا خرجت من طورها الحالي واشركت في الشورى مع رؤساء الدوائر الاخرى في المشيخة وعدت من اعضائه، واستدعى له نحوا من عشرين من العلماء الاجلاء الموثوقين من انحاء العالم الاسلامي كافة، عندها يمكن ان يكون هناك اساس لهذه المسألة الجسيمة».

ان تحقق الشورى الاسلامي العام يستند الى وجود الخلافة الاسلامية المعتمدة على وحدة المسلمين. ولما كانت الخلافة قائمة عندما اقترح بديع الزمان سعيد النورسي اقتراحه هذا، فان الحاجة كانت متوجهة الى توسيع الشورى وقتئذ لسعة العالم الاسلامي. اما الآن فلا يتحقق الا في بناء الوحدة الاسلامية التي تظهر على شكل الجماهير المتحدة الاسلامية. وحول ضرورة الشورى يقول بديع الزمان سعيد النورسي:

«ان مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية انما هو (الشورى) فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع امورنا، اذ يقول سبحانه: (وأمرهم شورى بينهم).

اجل فكما أن تلاقح الافكار بين ابناء الجنس البشري انما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية واساس علومها، فانه سبب

لتخلف القارة الكبرى التي هي آسيا عن ركب الحضارة انما هو عدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية.

ان مفتاح قارة آسيا وكشف مستقبلها انما هو الشورى، أي: كما ان الافراد يتشاورون فيما بينهم، كذلك ينبغي ان تسلك الطوائف والاقاليم المسلك نفسه فتتشاور فيما بينها. ان فك انواع القيود التي كبّلت ثلاثمائة بل اربعمائة مليون مسلم، ورفع انواع الاستبداد عنهم انما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الاسلامية والشفقة الايمانية، تلك الحرية الشرعية التي تتزين بالاداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية.

ان الحرية الشرعية النابعة من الايمان انما تأمر بأساسين:

ان لا يُذلّلَ (المسلم) ولا يذلّلْ.. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد.

وان لا يجعل بعضكم بعضا اربابا من دون الله. اذ من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعاً من الربوبية لكل شيء، كلاً حسب نسبته فيسلطه على نفسه.

نعم ان الحرية الشرعية عطية الرحمن وتجل من تجليات الخالق الرحمن الرحيم، وهي خاصة من خصائص الايمان»

واذا قيل:

لم تهتم بالشورى الى هذا الحد، وكيف يمكن أن تتقدم البشرية عامة وآسيا والاسلام بوجه خاص بتلك الشورى؟ فالجواب:

فكما اوضحت رسالة «الاخلاص» وهي اللمعة الحادية والعشرون: ان الشورى الحق تولّد الاخلاص والتساند، اذ إن ثلاث ألفات هكذا(١١١) تصبح مائة واحدى عشرة، فانه بالاخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة اشخاص ان يفيدوا امتهم فائدة مائة شخص. ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالاخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم.

فما دامت احتياجات البشر لاحد لها واعداؤه دون حصر، وقوته ورأس ماله جزئيان محدودان جدا. ولاسيما بعد ازدياد المخربين والمتوحشين نتيجة تفشي الالحاد.. فلابد أن يكون أمام اولئك الاعداء غير المحدودين والحاجات التي لا تحصر نقطة استناد تنبع من الايمان، فكما تستند حياته الشخصية الى تلك النقطة فان حياته الاجتماعية ايضاً انما تستطيع ان تدوم وتقاوم بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الايمان، فتوقف اولئك الاعداء الشرسين عند حدهم وتلبي تلك الاحتياجات».

وعندما احتل الانكليز العاصمة استانبول، اشاعوا ان الخلافة منسجمة مع سياستهم. الا ان بديع الزمان سعيد النورسي تصدى لهذه الاشاعة وبين الاسس التي تنبني عليها الخلافة ، فقال:

«ان ميل الشخص نفسه وامره الخاص وفكره الذاتي، مغاير تماماً للميل الحاصل من الشخصية المعنوية لأمر أمين الامة المتقلد امانة «الامامة والخلافة» فهذه الارادة تنبثق من «عقل» وتستند الى «قوة» وتتوجه الى «مصلحة» العالم الاسلامي.

أما عقله فهو شورى الأمة، وليس شبهتك ووسوستك! وقوته هو جيشه المسلح وامته الحرة، وليس سلاحك وحرابك. والمصلحة انما تتوجه من المحيط الاسلامي الى المركز، فترجح الفائدة العظمى للاسلام والمسلمين على المصالح الشخصية . والا لو انعكس الامر ورجحت – عند التعارض – مصلحة القربى على المصلحة العظمى، كترجيح سرير السلطنة على استانبول وهي على الاناضول وهو على الدولة وضحي بالعالم الاسلامي لأجل الدولة فهذا الترجيح لايطاع. وهو امر غير وارد اصلا. فالسلطان المتدين، وحيد الدين لو اصبح أفجر انسان، فلا يمكنه ان يقوم بهذا الأمر بارادته لسبب واحد هو أنه يحمل اسم الخليفة، فان قام به فلا يقوم الا مكرهاً . فطاعته عند ذاك بترك طاعته».

الاتفاق بين الجماعات الاسلامية

الشرط الثالث : لتحقق الوحدة الاسلامية هو اتخاذ الجماعات الاسلامية في العالم الاسلامي الضرورات الدينية اساساً لمنهجهم وعدم جعل المسائل الفرعية والمسلكية موضع خلاف ونزاع.

يوضح بديع الزمان سعيد النورسي هذا الامر ويؤكد عليه اثناء اجابته لسؤال وارد ، فيقول:

«سؤال: كيف السبيل الى وضع حد للاختلافات الموجودة في العالم الاسلامي؟

الجواب: اولا النظر الى المقاصد العالية المتفقة عليها، لان: ربنا واحد ورسولنا واحد، وقرآننا واحد.. فنحن متفقون في الضروريات الدينية.

اما التفاوت والاختلافات في الفرعيات او نوع التلقي او كيفية الفهم الذي هو غير الضروريات الدينية فلا يزعزع هذه الوحدة والاتحاد. بل حتى لا يرجح عليها.

فاذا ما اتخذت القاعدة الأساسية «الحب في الله» دستورا، واصبح عشق الحقيقة حاكماً في اعمالنا – والذي يساعده الزمان – فان الاختلافات يمكن ان تساق الى مجرى صائب».

«ان كان الاتفاق في الحق اختلافاً في الاحق، يكون الحق احياناً احق من الاحق، والحسن احسن من الاحسن. ولكن لا يحق له القول: «هو الحق هو الحسن».

«عندما تعلم انك على حق في سلوكك وافكارك يجوز لك ان تقول: «ان مسلكي حق او هو افضل» ولكن لا يجوز لك ان تقول: «ان الحق هو مسلكي انا فحسب». لان نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكاً ولا حكماً يقضي على بطلان المسالك الاخرى، وقديماً قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تـُبد المساويا

«سؤال: ان تشكيل جمعية أتحاد الاسلام انما هي لشق الصف بين سائر الجمعيات الاسلامية وتولد الحسد والنفرة بينها.

الجواب:

اولاً: ان الامور الاخروية لا حسد فيها ولا تنافر وتزاحم فايما جمعية حسدت وزاحمت الاتحاد فكأنما تنافق في العبادة وترائي فيها.

ثانياً: اننا نتحد مع الجماعات المتشكلة بدافع محبة الدين وخدمته ذلك على وفق شرطين اثنين:

الشرط الاول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

الشرط الثاني: انتهاج نهج المحبة، وعدم محاولة اظهار مزايا بانتقاص الجمعيات الاخرى، بل الاولى مراجعة مفتي الامة وجماعة العلماء فيما اذا ظهر خطأ.

ثالثاً: ان الجماعة التي تهدف الى اعلاء كلمة الله لن تكون وسيلة لأي غرض مهما كان، واذا تشبثت بالاغراض فلا يحالفها التوفيق قطعا لأنه نفاق، فشأن الحق عال وسام لا يُضحى به من اجل أي شيء كان. كيف تكون نجوم الثريا مكانس، أو كيف تؤكل كعناقيد عنب؟ ان الذي يريد ان يطفيء شمس الحقيقة بالنفخ انما يدل على بلاهته وجنونه.

أيتها الصحف الدينية!

ان قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف. اذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا سبيل اليه، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي الى القول: «مالي وما علي فليفكر غيري».

«سؤال: ما رايك في الاختلافات الرهيبة بين علماء العالم الاسلامي؟ وماذا تقول فيها؟

الجواب: ان العالم الاسلامي في نظري كمجلس النواب «البرلمان» غير المنتظم أو

كمجلس الشورى اختل نظامه، ومانسمعه في الفقه بأن: «هذا هو رأي الجمهور، وعليه الفتوى» انما هو نظير رأي الأكثرية في ذلك المجلس، وما عدا رأي الجمهور من الأقوال ان لم تكن خالية من الحقيقة والجوهر واللب، تفوّض الى رأي صاحب القابليات والمواهب والاستعدادات لينتخب كل استعداد وموهبة ما يناسب تربيته وينسجم معها. وهاهنا نقطتان مهمتان.

الأولى: ان «القول» الذي أنتخب بميل هذا الاستعداد، والذي يتضمن الحقيقة – الى حدّ ما – وظل في الأقلية، مقيد في نفس الأمر، ومخصص بالاستعداد الذي انتخبه، الا أن صاحبه اهمله فتركه مطلقاً – والتزمه متبعوه فجعلوه عاماً، وتعصب له مقلدوه وسعوا في هدم المخالفين له حفاظاً عليه. من هذه النقطة تنشأ المصارمة والمشاجرة والجرح والرد حتى تشكل من الغبار المثار من تحت أرجلهم ومن الابخرة المتصاعدة من أفواههم ومن البروق المنطلقة من السنتهم – سحاباً ذا بروق وذا رحمة أحياناً – فيولد حجاباً أمام شمس الاسلام الساطعة، ولكن ذلك السحاب المبشر بالرحمة والواهب للاستعداد والقابلية من فيض نور الشمس، مثلما لم ينزل الغيث. فقد حجب النور أيضاً.

الثاني: ان القول الذي ظل في الأقلية، إن لم يغلب مافيه من الحقيقة والجوهر على مافي الاستعدادات المنتخبة له، من هوس وهوى أو تدين موروث ومزاج، فانه – أي ذلك القول – يبقى على خطر عظيم، لانه بدلاً من أن تتصبغ الاستعداد به وينقلب الى مايقتضيه، يصرفه لنفسه ويلقحه ويسخره لأمره.

وهاهنا يتحول الهدى الى الهوى، ويتشرب المذهب من المزاج. ان النحل يشرب الماء فيقطر عسلاً، بينما الحية تشربه وتنفث سماً».

«سؤال: ياترى، ألا يجد هذا المجلس الاسلامي العالي على سطح الارض انتظاماً وتنسيقاً لأعماله مرة اخرى؟

الجواب: أعتقد بأن العالم الاسلامي قاطبة سيصير بمثابة مجلس نواب (برلمان) مقدس في الملة الانسانية وبين بني آدم، وسيشكل وينظم السلف والخلف فيما بينهم مجلسا للشورى موليا كل منهم وجهة الآخر على مدى العصور الا أن القسم الأول وهم الآباء الشيوخ، سينصتون بهدوء وثناء.

اذا قيل:

لقد ورد في حديث شريف: «اختلاف امتي رحمة» والاختلاف يقتضي التفرق والتخرب والاعتداد بالرأي.

ولكن داء التفرق والاختلاف هذا فيه وجه من الرحمة لضعفاء الناس من العوام، اذ ينقذهم من تسلط الخواص الظلمة الذين اذا حصل بينهم اتفاق في قرية او قصبة اضطهد هؤلاء الضعفاء، ولكن اذا كانت ثمة تفرقة بينهم فسيجد المظلوم ملجأ في جهة، فينقذ نفسه.

ثم ان الحقيقة تتظاهر جلية من تصادم الافكار ومناقشة الاراء وتخالف العقول:

الجواب: نقول اجابة عن السؤال الاول:

ان الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الايجابي البناء المثبت. ومعناه: ان يسعى كل واحد لترويج مسلكه واظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الاخرين او الطعن في وجهة نظرهم وابطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والاصلاح ما استطاع اليه سبيلا . اما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الاخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود اصلا في نظر الحديث، المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل ايجابي بناء.

وجوابا عن السؤال الثاني نقول:

ان كان التفرق والتخرب لاجل الحق وبأسمه، فلربما يكون ملاذ اهل الحق،

ولكن الذي نشاهده من التفرق انما هو لاغراض شخصية ولهوى النفس الامارة بالسوء. فهو ملجأ ذوي النيات السيئة بل متكأ الظلمة ومرتكزهم، فالظلم واضح في تصرفاتهم، فلو اتى شيطان الى احدهم معاونا له موافقا لرأيه تراه يثني عليه ويترحم عليه، بينما اذا كان في الصف المقابل انسان كالملك تراه يلعنه ويقذفه.

اما عن السؤال الثالث فنقول:

ان تصادم الآراء ومناقشة الافكار لاجل الحق وفي سبيل الوصول الى الحقيقة انما عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الاسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع ان يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة واظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. ولكن ان كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لاجل اغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء واشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط والاستعلاء واشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الافكار، بل تتولد شرارة الفتن. فلا تجد بين امثال هؤلاء اتفاقا في المقصد والغاية، بل ليس على الكرة الارضية نقطة تلاق لافكارهم ، ذلك لانه ليس لاجل الحق، فترى فيه الافراط البالغ دون حدود، مما يفضي الى انشقاقات غير قابلة للالتئام وحاضر العالم شاهد على هذا.

وصفوة القول:

ان لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف: «الحب في الله والبغض في الله» والحكم لله، فالنفاق يسودان.. نعم، ان الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفا ظلما في الوقت الذي يروم العدالة».

ولقد ورد في الاحاديث الشريفة ما مضمونه: ان الدجال والسفياني وامثالهما من الاشخاص الذين يتولون المنافقين ويظهرون في آخر الزمان، يستغلون الشقاق بين

الناس والمسلمين ويستفيدون من تكالبهم على حطام الدنيا، فيهلكون البشرية بقوة ضئيلة، وينشرون الهرج والمرج بينها ويسيطرون على امة الاسلام ويأسرونها.

ايها المؤمنون!

ان كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لاغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم ، وعودوا الى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: (إنما المؤمنون أخوة) (الحجرات: ١٠). وحصنوا انفسكم بها من ايدي اولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية. والا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، اذ لا يخفى ان طفلا صغيرا يستطيع ان يضرب بطلين يتصارعان، وان حصاة صغيرة تلعب دورا في متوازنان.

فيا معشر أهل الايمان! قوتكم تذهب ادراج الرياح من جراء اغراضكم الشخصية وانانيتكم وتحزبكم ، فقوة قليلة جدا تتمكن من ان تذيقكم الذل والهلاك. فان كنتم حقا مرتبطين بملة الاسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة.